السلطان سنجر ودوره السياسي في بناء حكومة خراسان

د. محمد حسن سهيل
كلية التربية الاساسية
الجامعة المستنصرية/ قسم التاريخ

المقدمة

يعد سنجر من سلاطين السلاجقة العظام والذي استمر حكمه نحو ستين عام اعترفت به السلاجقة زعيماً لهم وحصل على تأييد الخلافة العباسية.

تأتي أهمية دراسة حياة السلطان سنجر السياسية والعسكرية كونه لعب دوراً مهماً في تثبيت أركان السلطة السلجوقية في المشرق الاسلامي المتمثلة بحكومة خراسان ، والتأثير الكبير والواضح في أيجاد توازن بين سلطة سلاجقة خراسان وسلاجقة العراق من خلال دور الموازن في ترتيب اوضاع البيت السلجوقي بسبب حالة الشقاق المستمر بين امراء السلاجقة حول العرش وبين التصدي لزحف القبائل التركية القادمة من وراء النهر.

أن الدراسة أظهرت الجوانب السياسية والعسكرية لحياة السلطان سنجر في بناء مملكة خراسان طغت على الجوانب الحضارية والاقتصادية والتي يمكن أن تكون في دراسة لاحقة.

نشأ السلطان سنجر* في اقليم خراسان حيث مدينة مرو عاصمة سلاجقة الشرق ، وقد وصف سنجر بأنه "كان أمرة عالياً وكان مهيباً كريماً رفيقاً بالرعية حليماً عنهم وكانت البلاد امنة في زمانه" [1].

ظهرت قدرات سنجر القيادية منذ فترة مبكرة من حياته فتولى رئاسة حكومة خراسان وهو لم يتجاوز الثانية عشر من عمره اكسبته الحملات العسكرية التي شارك فيها تلك المهارة وإظهار كفاءته العسكرية.

لقد كانت حياته السياسية عبارة عن مراحل متتالية بدأها أولاً بالحصول على رئاسة الحكومة وكان ذلك في سنة 489هـ / 1096م عندها كانت خراسان تحت حكم عمه أرسلان أرغون الذي قتل على يد أحد غلمانه بسبب ما وصف به من الظلم وسوء سيرته مع الرعية فأنفرد بركياروق بملك خراسان والخزائن والاموال[2] الذي عين اخيه سنجر على رأس السلطة هناك ورتب له حكومة مؤلفة من أتابك الامير قماج وأبو الفتح علي بن الحسن الطغرائي وزيراً وجهزه بقوة عسكرية [3].

اصبح سنجر ملك خراسان بلا منازع لمدة عشرين عام وكان ذلك سنة 490هـ / 1097م وتلقب بألقاب منها لقب الملك، وناصر الدين [4].

استطاع سنجر ان يوطد نفوذه قبل أن يصبح سلطان سلاجقة العراق وايران فقام بسلسلة من الحملات العسكرية الناجحة بلغت حسب رواية الراوندي [5] تسعة عشر فتحاً منذ ابتداء عهده بملك خراسان لم يخسر فيها. ففي سنة 491هـ / 1098م ضم

مدن بلخ وترمذ وطخارستان [6] كما استطاعِ أن يبسط نفوذه على بلاد ما وراء النهر وأن يملك مدينة سمرقند بعد معركة مع حاكمها قدرخان جبريل بن عمر الذي طمع في الاستيلاء على خراسان فدارت معركة بين الطرفين أنتهت بهزيمة قدرخان فعين سنجر أرسلان خان بن سليمان بن داود بن بغرخان وجهزه بالعساكر[7]. كما أطاعة حاكم مدينة يزد الامير أبو كاليجار كرشاسف علاء الدولة[8] كذلك استخلص جملة ولايات كانت في قبضة ابيه ملكشاه [9]. ازدادت قوة سنجر وزاد عسكرة كما اخضع ملك سجستان وخوارزم تحت حكمه ومنح اتسز محمد بن نوشتكين حكم خوارزم [10]. ومنح الامير أبا الفضل تاج الدين نصر بن خلف الصفاري ملك نيمروز وكان قائد جيشه في اغلب حروبه [11].

كان جيش خراسان في هذه الفترة يتكون من مائة الف جندي وكانوا جميعاً مسجلين في ديوان الجند ويقبضون رواتب وكانوا ((مقيدون في الحساب وفي الجريدة والكتاب)) [12] وبذلك قويت شوكة وزادت عزيمة فبدت مرحلة جديدة من حياة سنجر السياسية مستغلاً قوته العسكرية وحالة الصراع بين اخوية بريكياروق ومحمد على عرشه سلاجقة العراق فاصبح في ذلك الصراع معيار المعادلة الجديدة فوقف الى جانب شقيقه محمد ففي سنة 493هـ / 1099م خاض معارك مع الامير داذ حبشي بن التونتاق* الذي اعلن ثورته وكان يحكم اجزاء من خراسان اضافة الى طبرستان وجرجان وتحالفه مع بوكياروق فانهزمت قواتهما في معركة بوزجان* وهي معركة مشهورة شارك فيها ثلاثون الف من قوات الامير داذ حبشي وبركياروق ولم ينجو منهم سوى ثلاثمائة جندي حسب رواية السلطان سنجر [13] واخذ بركياروق والدته سنجر رهينة لديه معلاً سبب ذلك (ليطلق سنجر من عنده من الاسارى ، فانفذ سنجر من كان عندة من الاسارى واطلقها) [14] وقطعت خطبة بركياروق واعيد الخطبة لاخيه محمد [15] في سنة 494هـ / 1100م تحالف سنجر مع اخيه محمد من اجل الحصول على السلطة في بغداد مستغلين فرصة مرض بركياروق فوصل الى النهروان ودخلوا بغداد من الجانب الغربي وخطب للسلطان محمد في الخامس والعشرين من جمادي الاخر وهرب بركياروف نحو واسط ثم سار نحو الجبل [16].

كان الملك سنجر بالنسبة لاخيه محمد يمثل القوة والمال فلجأ إليه مستعيناً به في حروبه المتكررة مع بركياروق فأمده بالمال والرجال كذلك فأن مطامح سنجر نفسه كانت تقوده نحو مركز السلطة الفعلي بغداد مركز الخلافة والسلطة الروحية، حصل سنجر على ولاية العهد بعد تنصيب اخيه محمد سلطاناً عاماً للسلاجقة وفي هذا الصدد ذكر سنجر انه لما دخل على الخليفة المستظهر بالله قال ((لما وقفنا بين يديه ظن اني انا السلطان فافتتح كلامه معي فخدمت وقلت يا مولانا السلطان هو اشرت الى اخي ففوض إليه السلطنة وجعلني ولي العهد بعده بلفظه)) [17] وكان ذلك سنة 495هـ / 1101م واصبحت منابر خراسان تخطب لسنجر كلها من حدود جرجان الى ما وراء النهر [18] .

استمرت طموحات سنجر التوسعية بضم المزيد من المدن الى مملكته فكانت حملة على ممالك الغزنويين التي لم ((يغزها شخصي من ال سلجوق قبله)) [19] دخلها في العشرين من شوال سنة 510هـ/ 1117م وقد تقرر فيها.

1- تعيين بهرامشاه بن محمود بن سبكتكين الفزنوني حاكماً على المدينة ليكون نائباً له.

2- يدفع بهرامشاه مبلغ 250,000 الف دينار سنوياً لديوان سنجر.

3- الخطبة فيها تكون للخليفة والسلطان محمد والملك سنجر.

4- قرر ان يؤدي الى خزانته يومياً الف دينار من عوائد المدينة وعين عاملاً من قبله لتحصيل هذا المال.

5- حصل سنجر على اموال عظيمة وفي جملة ما حصل من تيجان قيمة كل منها الف الف دينار وسبعة عشر سرير من ذهب والفضة والف وثلثمائة قطعة مصاغة واقام فيها اربعين يوم وعاد الى خراسان [20].

ذكر صاحب العراضة [21] ان الملك سنجر استخلص مملكة غزنين التي كانت مقر السلطان محمود ولم يكن لاحد من ال سلجوق امر نافذ فيها. وذكر ابن الاثير[22] ان ملكشاة مع تمكنه وكثرة ملكه لم يطمع فيه وكان كلما رام ذلك منع منه نظام الملك فكان الملك سنجر اول سلطان سلجوقي يخطب له في تلك البلاد[23] واستولى

على مدينة سمرقند سنة 524هـ/ 1130م وكان سبب ذلك ان صاحبها احمد خان قد اعطى بعد وفاة اخيه بركياروق فحاصر المدينة اربعة اشهر واستولى عليها[24].

لقد اورد السلطان سنجر انجازاته التي حققها في المجال العسكري منذ ابتداء عهده في ملك خراسان في منشور [25] ارسله الى وزير الخليفة المسترشد بالله مؤرخ في رمضان سنة 527هـ/ 1132م فقد ذكر فيه ان تركستان وغيرها من الولايات حتى حدود الصين وسد ياجوج وماجوج وحدود قندهار ومدينة سومنات خضعت لطاعته وخطب فيها للخليفة المسترشد بالله. ويتحدث في موضع اخر عن اتساع ملكه بقوله ((اتسع ملكنا ابان ولايتنا وسلطاننا ، فبدأنا بدارذ الخلافة ومكة والمدينة ، ثم غزنين وما وراء النهر والروم والهند وديار العرب واليمن وقبائلهم)) وذكر انه خاض معارك مع سلاطين وملوك وخانات وضرب امثلة على ذلك حروبه مع اخيه بركياروق وعصيان الامير دان حبشي وصاحب سمرقند قدرخان وسلطان غزنين وملك تركستان، ويخاطب الوزير في المنشور بقوله ((انظر ما حدث لكل هؤلاء القوم، ما حاق بجيوشهم التي لا حصر لها.. ثم يسأل لمن الت اليوم ملكية ولايتهم وممالكهم التي كانت بأيديهم؟ من الذي يحكمهم الان ؟ نواب أي ديوان وعمالة يحكمونها ؟ ويؤكد في منشورة انه عازم على غزو الروم والفرنج وبلاد الترك والهند، ويطمئن الخلافة ان الممالك المذكورة التي تحت حكمه محصنة من ناحية العدة والعتاد وما ارسل من قوات ومساعدات وما ينفقه الديوان من الاموال وارسال الامراء والقادة ليكونوا على راس الجيوش ما وراء النهر وكاشغر وتم امداد اقليم خوارزم ونيمروز وكابل وزاولستان وسائر الولايات. وذكر ان خوارز مشاة قاد جيش كبير نحو ثغر جند في تركستان وخاض معركة كبيرة مع صاحبها فانتصر عليه وجاء بالغنائم والسبايا والاموال . وذكر انتصار خان كاشغر على احد ملوك الخطا وذكر ان معركة كبيرة حدثت انتهت بانتصار الخان وقد ذكر ابن الاثير [26] ضمن احداث سنة 536هـ/ 1145م هذه الحادثة التي وقعت سنة 522هـ/ 1128م حيث قدم كوخان الصيني المعروف بالاعور الى حدود كاشغر فخرج اليه صاحبها الخان احمد بن الحسن فاقتتلوا وانهزم الاعور وقتل كثير من اصحابه.

بعد وفاة اخيه السلطان محمد سنة 511هـ/ 1118م لحقه حزن عظيم وتذكر المصادر انه جلس للعزاء على الرماد واغلق خراسان سبعة ايام وامر خطب المساجد بذكر محاسن اخيه واطلق المكوس. وتلقب بمعز الدين بعد ان كان يلقب بناصر الدين [27] واستقام امرة واطاعة السلاطين وخطب له على اكثر منابر الاسلام [28].

ادرك سنجر ان الوقت حان للجلوس على كرسي حكم السلاجقة وشجعه في ذلك امران اولهما انه تظاهر بصغر ابن اخيه محمود فقد ذكر ابن الاثير [29] ان سنجر لما قصد العراق لمحاربة ابن اخيه محمود قد تعذر بان (ولد اخيه صبي وقد تحكم عليه وزيره والحاجب)) والامر الاخر ان محمود وبدافع من امرأة اعلن العصيان على عمه بعد ثمانية اشهر من توليه السلطة [30] ثم انه قدم عرض الى عمه سنجر يتضمن النزول عن مازندران* وحمل مائتي الف دينار كل سنة مع المزيد من الهدايا والتحف ألا أن عرضة هذا رفض، فكانت معركة ساوة* في الثاني من جمادي الاول سنة 513هـ/ 1120م والتي حسمت بأستخدام أربعين فيلاً في جيش سنجر [31] وستطاع من فرض نفوذه على سلاطين السلاجقة في العراق، واعلنت الخطبة للسلطان سنجر في بغداد في السادس والعشرين من جمادي الاول فقطعت خطبة السلطان محمود [32] بعد هذا الانتصار الذي حققه عطف السلطان سنجر على ابن اخيه وراسله بالصلح وذكر ابن الاثير [33] ان عملية الصلح تمت بامر من جدة محمود تركان خاتون وقالت له ((قد استوليت على غزنة واعمالها) وما وراء النهر وملكت ما لاحد عليه وقررت الجميع على اصحابه فاجعل ولد اخيك كأحدهم... فاجاب الى قولها)) ألا ان الراوندي [34] يذكر رواية مغايرة لرواية ابن الاثير حيث ذكر ان محمود بعد قراره الى اصفهان ارسل ابو القاسم ناصر بن علي زين الدين الانسباذي الى عمه يطلب العفو والمعذرة فقبل عمه ذلك وبدأت عملية المفاوضات بين الطرفين تم الاتفاق فيها على:

1- أن يلحق بخدمة عمه بالري والبقاء فيها شهراً.

2- أن لا يدق بوق تركي وقت الركوب والنزول.

3- أن لاتكون له خيمة حمراء جهرمية.

4- أن يسير مترجلاً في ركاب عمه اثناء ركوبه او ترجله.

5- ترك شعائر السلطة وشعائرها.

6- ان يخاطب عمه بالسلطان الاعظم سلطان السلاطين.

7- قرر على محمود نفقة مسعود واخوته من مال العراق مقابل تعهد السلطان سنجر.

8- ان يكون محمود نائبه بالعراق.

9- ان يخاطب محمود بالسلطان الاعظم سيد السلاطين.

10- ان يقرر على محمود ولاية العراق والجبال والشام وهمذان وساوة وخوي واشياء اقتطعوها من اصفهان وسوق الغنم وسوق الظباء في بغداد ومبلغ ذلك في السنة ثلاثة مائة الف دينار [35].

11- كتب سنجر الى كافة الاقاليم بان يخطب للسلطان محمود بعدة وكتب الى بغداد قبل ذلك واعادت جميع ما اخذه من اقطاعات عدا مدينة الري لانها عاصمة الملك وحتى لا ((يحدث محمود نفسه بالخروج)). [36].

12- ومنحة كل ما كان قد تركه من رسوم السلطنة وشعائرها وإعطاءه خلعة خاصة ومنحة قباء مرصع بالجواهر وجواداً للنوبة مسرجاً بسراج احمر وفيلاً عليه هودج مرصع وانعم على أمراءه حسب درجاتهم.

13- أقطعة الاراضي الواقعة من حد خراسان الى الدراوم بأقصى الشام وتشمل همذان، اصفهان، بلد الجبل، كرمان، فارس، خوزستان، العراق، اذربيجان ارمينية ، الموصل والجزيرة وديار مضر وربيعة والشام وكتب منشور بذلك [37].

14- زوجة ابنته مهملك خاتون واعادة من خراسان الى العراق في ابهة كاملة وسرح مرصعة وفيلة[38].

اخذ السلطان سنجر يمارس صلاحيات كسلطان اعظم للسلاجقة فبدأ بسلسلة اجراءات تقوم على اساس استمالة الامراء والقادة العسكريين السلاجقة من خلال اقطاعهم الاراضي الزراعية الواسعة في العراق وايران لكسب تأييدهم فقد اقطع الملك ركن الدين طغرل بن محمد ساوة وسامان وقزوين وابهر وزنجان وكيلان والديلم والطالقان [39] واقطع الملك سلجو قشاة اخيه ولاية فارس كلها وجعل اتابك له قراجا الساقي واضاف بعض بلاد اصفهان [40]. واقطع لنفسه من الاراضي مازندران وطبر

ستان وقومس والدامغان والري ودبناوند [41] وامر بقراءة الخطبة باسمه في الاراضي التابعة له من حد كاشغر الى اعطى بلاد الصين ومكة والطائف وعمان واذربيجان الى حدود بلاد الروم [42]. ولقب بالقاب عدة من سلطان سلاطين المشرق والمغرب جميعاً [43]، الملك الاعظم ، سلطان السلاطين [44]، تاج الملوك[45] وامر بجباية الضرائب من كل مدن العراق والشام وايران وكل لك دليل التبعية وبسط النفوذ [46]. كان يهب خواصه وامراءه من الهدايا التي يأخذها من قيصر الروم وما يقدمه خاقات الصين من هدايا وقرابين واورد الراوندي [47] بيت شعر ، بالفارسية دليل امتداد سلطة جاء فيه:

- يامن يتزود امير التركستان بالذخيرة من فتات مائتدك .
- يامن يتشفى ملك الهند مستهديا برأيك .
- يامن يأتي خاقان الصين للخدمة في اعتابك.
- ويحمل قيصر الروم الغاشية امام جوادك.

كذلك امر بإعادة مجاهد الدين بهروز الى شحنكية العراق [48]. وتدخل السلطان سنجر في النزاع الذي حصل بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/ 1130م بين داود بن محمد وعمه مسعود على سلطة العراق فتدخل سنجر بالأمر وعين طغرل بن محمد بعد معركة خاضها اشتركت فيها قوات الخلافة الى جانب مسعود في منطقة ينج انكشت* انتصر فيها سنجر وعين طغرل حاكم بالعراق وولي عهده ونائبه في خراسان وما وراء النهر ((اسند إليه كليات الامور وجزئياتها في طول ممالك الارض وعرضها رعاية لحقوق القرابة ومحافظة على رسوم الاتحاد)) [49].

استمرت العلاقات ودية بين السلطان سنجر وابن اخيه محمود على الرغم من ان الاخير كانت لديه نزعة للاستقلال عن سلطة عمه ففي سنة 520هـ/ 1126م حدث تحالف بين محمود والخليفة المستمر شد بالله فارسل سنجر كتاباً يقول فيه ((انت يميني والخليفة قد عزم على ان يمكر بي وبك ... وانت تعلم انه ليس لي ولد وانك ضربت معي مصافاً وظفرت بك فلم اسيء اليك وقتلت من كان سبباً لقتالنا واعدتك الى السلطة وجعلتك ولي عهدي وزوجتك ابنتي فلما مضت الى الله تعالى زوجتك الاخرى [50] وراي فيك راي الوالد..)) [51]. فالتفت الى قول عمه . وفي سنة

522هـ/ 1128م خرج السلطان سنجر الى الري في جيش كبير وسبب ذلك اتفاق محمود مع الخليفة المسترشد بالله مجدداً على الخروج وانهما ((متفقان على الا متناع منه)) [52] فلما وصل الى الري بعث الى محمود الذي كان في همذان يستدعيه وكان الغرض من ذلك معرفة مدى استجابة وطاعته فكان عند حسن ظن عمه مناد اليه وبالغ باستقباله وامر العسكر بلقائه واجلسه الى جانبه [53]. فكانت سنة اصطلاح بعد خشونة [54]. فقد وضعت اسس المصالحة وتصفية الخلافات القديمة.

لقد اتسمت العلاقات العباسية السنجرية بالتباين وعدم مسيرتها باتجاه واحد يسبب الصراع الدائر حول عرش العراق بين السلاطين السلاجقة والاطماع المتزايدة للأمراء لذلك فان السلطان سنجر بحكم قيادته للسلاجقة قد انعكست عليه سلباً في علاقة بالخلافة. في نفس الوقت ادرك ان الدعم الروحي للخلافة ضروري لاعطاء حكمه الصفة الشرعية فعمل على ارضاء الخلافة بعد ان اصبح السلطان الأوحد السلاجقة. ذكر ابن الجوزي [55] في سنة 513هـ/ 115م كتب سنجر بإقطاع للخليفة بخمسين الف دينار وللوزير عشرة الاف دينار نقلها القاضي ابي سعد الهروي وتلقاه الوزير بالعهد واللواء وحمل على فرس من الخاص ونزل باب النوبى وقبل الارض ثم حضر في اليوم الثالث والعشرين فوصل الى المسترشد له كتبا وحمل من سنجر ثلاثين تختاً من الثياب وعشرة مماليك وهدايا كثيرة ، فبعث الخليفة المسترشد برسالة الى السلطان سنجر بيد القاضي الهروي بمزيد من التشريفات والحملان وساءٍ في تجمل كثير وتقديراً لموقف القاضي اسند الخليفة امر القضاء في كافة المملك اليه ماعدا العراق [56] . وفي سنة 517هـ/ 1124م قدم القاضي الهروي* بهدايا واموال الى الخليفة [57]. وتتيجة هذه العلاقات الطيبة وصل الامر الى المصاهرة بين الطرفين ففي سنة 518هـ/ 1125م تزوج الخليفة المسترشد من ابنه السلطان سنجر ويصف لنا ابن الجوزي [58] الاجراءت التي اتخذها الخليفة من اجل عروسة حيث شرع في اخذ الدور المشرفة على دجلة مقابل مشرعة الرباط ليبني مسناة ونقض الدار التي بنيت في المشرعة كل ذلك لانه يريد ان يبني هذا المكان لزوجته بنت سنجر وبعث ابن الانباري* لاحضارها وكان المتولي للعقد ولخطاب القاضي الهروي[59].

حاول سنجر ان يظهر في علاقة بالخلافة حسن نيته ففي الصراع الذي دار بين دبيس بن صدقة والملك طغرل بن محمد مع الخلافة انحاز الى الخلافة بل وصل الامر الى انه امر بحبس دبيس وكان يروم بذلك ((التقرب الى المسترشد))[60]. من جانب اخر ترى انه يحذر ابن اخيه محمود من الخليفة المسترشد ففي رسالة بعثها له يقول ((انت يميني والخليفة قد عزم على ان يمكر بي وبك فاذا اتفقتها على فرغ مني وعاد اليك فلا تلتفت اليه)) [61]. ذلك ان محمود استغل حال انتصار لخلافة على قوات دبيس وطغرل فاراد بهذا الانتصار ان يكون حافزاً له وبمساعدة الخلافة على الخروج عن طاعة عمه والانفراد بحكومة العراق[62]. لكن الامر يبدوا ابعد من ذلك وهو ان السلاجقة قد خافوا من القوة المتزايدة للخلافة خاصة ان الخليفة المسترشد وصف بانه ((ذا هيبة واقدام وشجاعة وضبط الخلافة ورتبها احسن ترتيب واحياء ميمها)) [63]. وقال محذراً ((متى لم تعاجله بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعاً ومنعك منه وحينئذ يتعذر عليك ماهو الان بيدة)) [65] . رغم ذلك بقية العلاقات ودية مع الخلافة ففي سنة 521هـ/ 1127م بعث الخليفة برسالة الى السلطان سنجر يطالبه بابعاد دبيس وعدم ايوائه لديه وارسل اليه الخلع والهدايا فاستقبل السلطان مبعوث الخليفة[66] بالاكرام وامر بضرب الطبل على بابه ثلاث مرات واعطاه طوقاً وفرسين وسيفين محلاة ولوائين ((وظهر منة طاعة كثيرة)) [67]. وطلب سنجر من الخليفة ان يخطب له على منابر مساجد بغداد وكان يخطب له في جامع المنصور فقط فاذن له وخلع عليه [68].

كان السلطان سنجر حريص على بقاء العلاقات ودية مع الخلافة رغم تمتعه بالقوة والنفوذ وحاول في كل مناسبة أن يظهر الولاء والطاعة ففي سنة 528هـ/ 1133م بعث الخليفة رسالة الى السلطان سنجر مع الخلع والهدايا يوصف لنا ابن الجوزي [69] كيف تمت مراسيم الخلع التي ارادها سنجر ان تكون علنية وامام انظار عسكرة وحاشية فقد امر ان يكون الخلع في يوم واحد مع اولاد اخيه وان يكون اخر من يخلع عليه وان تضرب الخيام خارج البلد وجيء بتضت الحكم وخلع على الامراء والملوك ثم صعد ابن الانباري على التفت وسلمة رسالة الخليفة فقام السلطان ونزل من التفت وقبل الارض دليل الطاعة والخضوع ثم عاد وجلس ووضع الرسالة على

ركبته والبس الخلع والتاج والطوق فقدم الفرس المركب وهو منعل بالذهب... [70]. وكانت الخلع التي هيأت لسنجر بمائة وعشرين الف دينار [71]. وعندما اسر الخليفة المسترشد من قبل الملك مسعود امر السلطان سنجر بأطلاق سراحه وبعث اليه رسالة يحذره من هذا الفعل ويأمره بإعادة الخليفة الى دار الخلافة وان يدخل عليه ويقبل الارض ويساله العفو عنه والصفح وسبب ذلك كما ذكره السلطان سنجر في رسالة قد ظهرت عندنا من الاثار السمائية والارضية مالا طاقة لنا بسماع مثلها ودون المشاهدة من الرياح والعواصف والحروق وتزلزل الارض ودام ذلك عشرين يومً وقد خفت على نفسي من جانب الله تعالى وظهور آياته وجانب المخلوقين والعساكر وتغيرهم عليّ وامتناع الناس من الصلاة في الجوامع وكسر المنابر ومنع الخطباء ما طاقة لي بحملها... فامتثل مسعود الى ذلك وارسل مع الرسل جيشاً ليكونوا في خدمة الخليفة ببغداد [72] وقد حفظت الخلافة ذلك للسلطان سنجر وابقت على علاقات ودية فمثلاً عنما توفي السلطان محمود سنة 525هـ/ 1130م واراد ابنه الملك داود الخطبة له ببغداد رفض الخليفة المسترشد ذلك وقال ان الحكم في الخطبة للسلطان سنجر وينبغي ان تكون له وحدة فوقع ذلك منه موقفاً حسناً وفي رواية ((فوافق ذلك غرض سنجر))[73]. ثم كتب الى سنجر يقول ((اننا لن نريد غيرك ولن نسمح لاحد ان يتسلط دونك)) [74].

استمرت العلاقات ودية زمن الخليفة المقتفي بالله ففي سنة 531هـ/ 1135م امر السلطان سنجر ابن اخيه مسعود بمبايعة المقتفي نيابة عنه وتمت ((البيعة المقتفية في خراسان)) [75]. في سنة 535هـ/ 1140م بعث السلطان سنجر برسول الى الخليفة يحمل اليه بردة النبي محمد صلى الله عليه وسلم والقضيب وسلمها له [76].

تميزت الفترة الواقعة بين سنة (531هـ – 552هـ / 1135– 1157م) من حياة السلطان سنجر بسلسة من الحروب انتهت باسره ووفاته حيث شهدت هذه الفترة تغير بالخارطة السياسية للمالك الاسلامية حيث ظهرت دول لعبت دوراً في الساحة السياسية ساهمت نهائياً في القضاء على حكومة خراسان. لقد كان السلطان سنجر يرى ان خراسان وما وراء النهر تشكل الحدود الحقيقية لمملكة خراسان وكان هذا

الجزء يأخذ وقته في تحصين دفاعاته ضد كبار اعدائه ومنافسيه امثال خانيه كاشغر والكورخانية والقرة خطائين وسلاطين الغور والخوارزميين وكانت فترة سلطة قضاها في صراع معهم كان النصر حليفه في كل الحروب الا موقعتين تسببت في انهيار مملكة [77].

لقد كانت معركة قطوان* حداً فاصلاً بين عهد القوة وسعة النفود وبين ضعف الدولة السنجرية لقد كان للمعركة اثر واضح في تاريخ سلاجقة الشرق من خلال تقليص نفوذهم في اقليم ما وراء النهر التي وقعت بأيدي القبائل القرة خطائية وكذلك اعطاء الفرصة للاخرين بالجراة على املاك السلاجقة وكان حكام الخوارزميين خير دليل على ذلك. يذكر ابن الاثير [78] ان ملك الصين ويدعى كورخان الملقب بالاعور توجه نحو بلاد تركستان وانضمت اليه مجاميع الاتراك القارغلية وملكوا بلاد تركستان وسيطروا على مدينة سمرقند وهزيمة واليها محمود بن محمد الملقب بالخاقان الذي وصل الى السلطان سنجر وعرض عليه ما تعرض له المسلمون وحثه على نصرتهم ، ارسل السلطان سنجر الى امراء دولته يطلب اعداده القوات فاجتمعت لديه قوات خراسان وسجتتان والغور وغزنة ومازندران وبلغ عددهم مائة الف فارس اجتمعت مع قوات سنجر البالغة مائتي الف فارس فهجم السلطان ومعه ثلاثمائة الف فارس على جيش الخطأ [79].

يذكر ابن الاثير [80] ان خوارزم شاة اتسز محمد قد طلب مساعدة القراخطائين* بعد مقتل ولده السلطان سنجر وحثهم على قصد مملكة سنجر . وفي رواية مغايرة ان ظلم وقوة جيش خراسان على سكان ما وراء النهر كان وراء استدعاء جيش خراسان على سكان ما وراء النهر كان وراء استدعاء جيش اجنبي[81] ويبدوا ان هذه الرواية هي المرجحة ذلك ان السلطان سنجر زار مدينة سمرقند سنة 535هـ/ 1143م فشكا إليه اهالي ولاية ماوراء النهر من شدة وطاة جيش خراسان وقسوة حشمة واتباعه واخذوا في اختراق المظالم في الاقليم وعانوا فيه فساداً وان الاتراك القارغلية ارسلوا يستدعون ترك الخطأ [82].

دارت المعركة في صفر 536هـ/ 1144م سارت في بدايتها لصالح السلطان سنجر ألا أن مجيء اربعين الف فارس من القارغلية والتفاتهم خلف جيش خراسان

غير من كفة المعركة فأصيب السلطان سنجر بهزيمة كبيرة [83]. اتفق كل كل من المؤرخ ابن الجوزي [84] وابن الاثير [85] على إن عدد القتلى في صفوف جيش سنجر بلغ مائة الف منهم احدى عشر ألف كلهم صاحب عمامة واربعة الاف امراة ، ألا أن مؤرخ السلاجقة الراوندي [86] يذكر مقتل ثلاثون الف رجل من بينهم ثلاثة الى اربعة الاف رجل من مشهوري الامراء واصحاب المناصب وارباب الدولة . يبدو ان عدد القتلى كان كبيراً بسبب هول المعركة وشدتها حتى ان ابن الاثير [87] في وصفه الجيوش الطرفين ((كانا كالبحرين العظيمين)) وفي رواية ((فلم ترى وقعه اعظم منها)) [88]. لم يبق مع السلطان سنجر سوى ثلاثمائة فارس مدرعين بالحديد هجم بهم على قلب جيش الخطأ ولم يخرج من المعركة الا وقد هلك معظم فرسانه ولم يبقى معه سوى بضعة عشر فارساً توجه بهم نحو الصحراء [89]. ويذكر ابن الجوزي [90] ان السلطان سنجر لما دخل مدينة بلخ بعد خسارة المعركة لم يكن معه سوى ستة اشخاص. كان للمعركة اثر عميق على السلطان سنجر فقد اسرت زوجته تركان خاتون وبقيت في الاسر عاماً كاملاً واطلق سراحها بعد دفع فدية مقدارها خمسمائة الف دينار[91]. وكذلك وقع في الاسر صاحب سجتان والامير قماج صاحب بلخ وملك نيمروز اطلق سراحهم بعد عام [92]، واستقرت ((دولة الخطا والترك بما وراء النهر)) [93]. بعد الهزيمة هذه اخطر سنجر ان يتخذ عدة اماكن لاستقراره توزعت بين بخارى وترمذ وبعد سبعة اعوام على هذا الحال توجه نحو الري فجاءت رسل الاطراف يعلنون الطاعة والولاء محملين بالهدايا كذلك جاءت رسل العراق من السلطان مسعود محملة بالهدايا وبذلك ((استطاع من جمع الشتات ويعيد قوته وجيشه)) [94] وبعد مضي ستة عشر يوماً في الري وانتظام امورة توجه نحو خراسان [95] استغل خوارزم شاة هذه الاحداث ليعلن عصيانه واستيلاء على مدينة مرو عاصمة ملك خراسان وسبب ذلك ((مراغمة للسلطان سنجر)) [96]. واستيلاءه على الخزائن والذخائر [97] ذلك ان السلطان سنجر استولى على خوارزم سنة 533هـ/ 1141م بعد ورود انباء عن عصيان وخلع الطاعة من قبل صاحبها اتسز بن محمد فقتل منهم خلفاً كثيراً منهم ابن اتسز بن محمد الي حزن عليه حزناً شديداً فاضمر ذلك في نفسه، وكان سنجر قد اقطع اقليم خوارزم لغياث الدين سليمان شاة

ابن اخيه محمد ورتب له وزيراً واتابكاً وحاجباً [98]. هذه الاسباب كانت الدافع لدخول خوارزم شاة مدينة مرو وقطع خطبة السلطان سنجر في اول ذي العقدة لغاية اول محرم سنة 537هـ/ 1146م [99]. وسبب هذه الاحداث ارسل سنجر الى خوارزم شاة متوعداً فاجابة بيت من الشعر يقول فيه[100].

اذا كان حصان الملك سريع العدو فان حصاني ليس اعرج

فتعال هنا وانا اذهب الى هناك فليس العالم ضيقاً

في سنة 538هـ/ 1147م حدث الصلح بين الطرفين وذلك ان خوارزم شاة يعلم انه لا يقوى على حرب سنجر فتم الصلح على ارسال خوارزم شاة مال الطاعة والتعهد على البقاء في الخدمة فاجابه سنجر الى ذلك وعاد الى مرو[101]. في سنة 545هـ/ 1150م اعلن ملك الغور الحسين بن الحسين الملقب بعلاء الدين وكان يسيطر على جيال الغور ومدينة فيروزكوة* .

اعلن ثورته على السلطان سنجر وانظم اليه احد امراء سنجر ويدعى علي الجتري وهو صاحب اقطاع مدينة هراة وكان الامر شديد الوقع على سنجر لأنه من صنائعه حسب رواية الراوندي [102] الذي رفعة من مضحك الملك الى وظيفة الحجابة. قامت عساكرهم بنهب مدن وقرى هراة وساروا الى بلخ وملكوها بعد هزيمة واليها الامير قماج ، وقع علاء الدين في اسر السلطان سنجر بعد معركة قرب هراة سنة 547هـ/ 1152م الا انه عفى عنه وارجعه الى مدينة فيروزكوة [103].

هذه الاحداث سارت بسلطة السلطان سنجر نحو الانهيار وعجلت بهذا واقعة الغز* سنة 548هـ/ 1153م كانت تلك القبائل تدفع كل عام خراجاً سنوي قدره اربعة وعشرون الف راس غنم لمطبخ السلطان سنجر [104] وكان خوان سالار رئيس المطابخ مسؤول عن تحصيل ذلك وكان يرسل كل عام محصلاً عن قبله لهذا الغرض وكان المحصل يتطاول عليهم ويسرف في تغير الخراف واستبدالها وكان يحقر عظمائهم الامر الذي دفعهم الى عدم دفع ما مقرر عليهم ويقتلون المحصل [105] وصل الامر الى والي بلخ الامير قماج الذي قام بدوره بنقل الخبر الى السلطان سنجر وقال ان الغز قد تحدروا وعلا شانهم وطلب موافقة السلطان بعقابهم واخضاعهم فوافق على ذلك ((وعينة مسؤولا من هذا الامر)) [106] ارسل قماج نائباً

من قبله وطلبهم بغرامة مالية لقاء عصيانهم فلم يعظمون مبعوثه وقالوا ((نحن رعية خاصة للسلطان فلا تدخل تحت حكم شخص غيره)) [107] وفي رواية ((نحن عبيد السلطان وحدة ولا نمتثل لأحكام الاخرين)) [108] سار اليهم قماج في عشرة الاف فارس [109] فاقتتلوا اقتالاً شديداً وقتل قماج وابنه ابو بكر في المعركة [110] توجه السلطان سنجر بجيوشه نحوهم وعندما علم الغز بذلك ارسلوا رسولاً الى حظرة السلطان وقالوا ((اننا دائماً عبيد مطيعون نسير وفقاً لأوامرك فلما قصد ديارنا اضطررنا الى القتال من اجل اطفالنا وعيالنا لا من اجل انفسنا فقتل هو وابنه ونحن نقدم مائة الف دينار والف غلام تركي ليتجاوز السلطان عن ذنبنا وكل عبد يطلبه السلطان يكون بديلاً لقماج)) [111] تشاور السلطان مع امراء الدولة فرفضوا الصلح فلم يرى بداً من قتالهم فلما قدم اليهم (قدموا نساءهم واطفالهم الصغار وتقدموا اليه ضارعين اليه طالبين الامان منه وقبلوا ان يقدموا من كل بيت سبعة امنان* من الفضة)) [112] حتى لا يسمح السلطان بقتلهم ويذكر الراوندي [113] ان السلطان اشفق عليهم فامسك الامير مؤيد يزرك وعمر العجمي وهم من امراء بعنان فرس السلطان وقالا (القصاص مهم والشروع ملزم) [114] وبالغا بالترغيب في قتالهم وليس هناك مصلحة قط بالعودة . ولما يئس الغز من ذلك اجتهدوا في الدفاع عن انفسهم وحلة الهزيمة بجيش السلطان وذكر الحسيني [115] اسباب هزيمة السلطان بقوله ((فلما وصل جند السلطان الى مقعدهم تهاونوا بالقتال لان الامير مؤيد كان عدو لهم وتقاعسوا في اظهار الشجاعة وانهزم جيش السلطان)). وقع السلطان سنجر في الاسر فقدم له امراء الغز فروض الطاعة ، قبلو الارض بين يديه وقالوا (000نحن عبيدك لا مخرج عن طاعتك فقد علمنا انك لم تود قتالنا وانما حملت عليه فانت السلطان ونحن العبيد)) [116] بقي السلطان سنجر اميراً لدى الغز عامين كان فيها له اسم السلطنة وهو معتقل لا يلتفت اليه احد حتى انه اراد كثيراً من الايام ان يركب فلم يكن له من يحمل سلاحه فشدة على وسطه وركب ، وكان اذا قدم اليه طعام يدخر منه ما يأكله وقتاً اخر خوفاً من انقطاعه عنه لتقصيرهم في واجبه)) [117] وبقي معهم صورة بلا معنى وصار يبكي على نفسه وله اسم السلطة وراتبه في قدر راتب سائس من ساسته [118]. ثم اخذوه وساروا به فدخلوا مرو عاصمة مملكة

خراسان فطلبها منه بختيار وهو احد امراء الغز اقطاعاً ، فقال السلطان هذه دار الملك ولا يجوز ان تكون اقطاعاً لاحد فضحكوا منه [119]. فترك سنجر الملك ونهب الغز مدينة مرو ((مقر السلاطين الماضين وخزائن الملوك السالفين ونهبوا النفائس والدفائن والذخائر والخزائن)) [120]. ثم نهبوا نيسابور وقتلوا اعيانها وتفرقت الامور واستحوذ كل امير منهم على ناحية من مملكة خراسان ((وصارت الدولة دولاً)) [121].

ان مناقشة عوامل انهيار مملكة خراسان امراً لابد منه خاصة ان اسباب الانهيار هو جيش وامراء السلطان سنجر:-

1- ذكر المؤرخ الحسيني ان امراء السلطان سنجر الامير المؤيد والامير عمر العجمي الحوا على السلطان قتال الغز وقالوا القصاص ملزم ثم ينتقل الحسيني ليذكر اسباب هزيمة السلطان بقوله ((فلما وصل جند السلطان الى مقعدهم تهاونوا بالقتال لان الامير مؤيد بان عدو لهم وتقاعسوا في اظهار الشجاعة وانهزم جيش السلطان)). يفهم من هذا النص انها عملية خيانة من امراء جيش السلطان يتزعمها الامير المؤيد ارادوا بالسلطان الايقاع والقضاء على ملكه. بعد ان وصلوا الى مقعدهم أي الوقوع في الفخ الذي رسموه للسلطان بالدخول في قتال الغز رغم ان هؤلاء قدموا التنازلات والعطايا للسلطان تجنباً للقتال لذلك ظهر تهاون كبير وعدم جدية في قتال الغز من جانب قادة جيش السلطان ولم يظهروا القدرات العسكرية الازمة في المعركة كذلك يفهم من ذلك انها عملية تمرد كبير قادها الامير مؤيد مع الامراء اخرين للإيقاع بالسلطان والقضاء عليه تماماً معتدا تماماً يتطابق مع ما ذكره ابن الاثير [122] في هذا الصدد بقوله ((فلما كانت هذه الفتنة تقدم وعلا شأنه واطاعة كثير من الامراء فاستولوا على نيسابور وطوس ونسا وابيورد وشهرستان والدامغان)). وهو يقصد بذلك الامير المؤيد الذي ذكر انه مملوك السلطان سنجر. وحمل مؤرخ السلاجقة الراوندي[123] نتائج المعركة من عمليات نهب وقتل لاهالي مدن خراسان من قبل الغز بتحملها الامير المؤيد خراسان الذي اشار على السلطان بالقتال ((وكان هذا من نتائج المؤيد)). حالة الصراع بين امراء دولته اثرت سلباً

على قوة مملكة خراسان ودخول جيشها في صراعات ليس فيها مصلحة كانت لهما نتائج كارثية على الدولة وان طمع الامراء في اراضي الغير والتحالف مع اقوام اخرى شكلت قوة مؤثر وخطيرة على الجانب الجالب لها. فقد ذكر ابن الاثير [124] ان الامير زنكي بن خليفة الشيباني دعا قبائل الغز وانزلهم بلاده طخارستان وسبب ذلك العداوة التي يضمرها للامير قماج والي بلخ وذلك ((للمجاورة التي بينهما وكل منهما يؤيد ان يعلوا على الاخر ويحكم عليه)) فتقوى بهم زنكي وسار الى بلخ الا ان قماج كاتبهم واستمالهم الى جانبه فغدروا بزنكي الذي وقع في الاسر مع ابنة فقتلهما قماج الذي اقطع الغز اراضي ومراعي في مدينة بلخ ولما قصد الغوري الحسين بن الحسين مدينة بلخ انضموا اليه وغدروا بقماج ، يفهم من هذا الامر ان امراء سنجر هم الذين جلوبهم وصانعوهم وجعلوا منهم قوة ولما ارادوا القضاء عليهم قضوا هم عليهم ونهوا قوتهم وبرت الغز قوة خاصة بعد انضمام طوائف الترك اليهم واستولوا على بلخ بعد قتال مع الامير قماج الذي قتل مع ابنه ابو بكر بالمعركة .

2- الظلم الذي وصف به جيش خراسان ، ذكر صاحب العراضة[125] جيش سنجر بقوله ((لما اصبحت ارباع الافاق واصقاعه تحت حكمه اخرج امراء جيش المحظوظون المظفرون يد التعدي من جيب القهر بحكم ان الانسان ليطغى ان راة استغنى لانهم كانوا يملكون اسباب الرفعة والظفر ولا يرون احد قط اكثر رفعة من جنابهم وتعاهدوا على الاغارة على اموال الرعايا واثارة فنون الفتن بين البرايا وظنوا ان الاية الخاصة بغصب اموال المسلم والمعاهد والمقيم والمجاهد منسوخة واحكامها مفسوخة واعتقدوا ان وعد الله في قوله ((والظالمين اعد لهم عذاباً اليما)) برهان مهجور ودليل محجور فجعلوا الظلم والاضطهاد شائعين وعامين في جميع حمالك الاسلام، فابتلى وتألم الخواص والعوام والكرام والئام.. ولم يسلم الشريف والوضيع والرضيع والرفيع من شر هذا الامر وضرره ولم يجد الانسان منجى من هذا الحكم العام)) واستمر هذا الامر لسنوات طويلة حتى ان صاحب العراضة [126] يربط بين هزيمة السلطان سنجر امام قبائل الخطا سنة 536هـ/ 1145م وبين ظلم جيشه بقوله ان اهالي ما وراء النهر قد تعرضوا الى انواع من الظلم والجور شهود ويأسوا فاستعانوا في ((طلب جيش اجنبي فلعلهم يستطيعون بحضوره ان يتخلصوا من تعدي

جند خراسان وهم اظلم من قاض حسب وصفة)) في سنة 535هـ/ 1144م زار السلطان سنجر مدينة سمرقند لتفقد احوالها بسبب اضطراب اوضاعها وذلك لتحرش الخطا بأهالي المدينة الذين شكوا من قسوة وشدة جيش خراسان ولهذا السبب استعان الاتراك الفارغلية بترك الخطا ويبدو ان سنجر لم يتخذ اجراءات حاسمة ومضى جيش خراسان في هذه الصورة من البغي واخذوا ((يتباهون ويغترون بأنفسهم)) [127].

3- التطاول على الرعية والتعدي على حقوقهم من قبل امراء دولة وحشمة واقترانهم المظالم بحق الناس بحجة انهم من خواص السلطان فكانت عملية استغلال اسم السلطان بأبشع صورها، يصف الرواندي [128] مماليك السلطان بقوله ((لما خضعت له جميع ارجاء الدنيا ودان له ملوك الاطراف ونفذ امرة في مشارق الارض ومغاربها انتهز امراء دولة وحشمة الفرصة فطغوا وبغوا وساعدهم طوال ايام دولته وسعة اسباب نعمتها ووجدوا ان يداً لا تعلوا على ايديهم فتطاولوا على الرعايا وظلموهم واخذوا في اقتراف المظالم)). وكان جامعي الضرائب يتميزون بالقسوة والشدة مع الرعية وكانوا يتطاولون على الناس بحجة انهم من ملازمي بلاط السلطان [129].

4- تساهل السلطان سنجر مع ولائه والعفو عنهم واتصف بالسذاجة في التعامل معهم من حيث عدم محاسبتهم وعدم استخدام الشدة الامر الذي جعل الكثير منهم يعلن عصيانه ثم يعتذر عند الشعور بالغلبة ، هذا الامر اثر كثيراً على مسيرة الدولة وكيانها السياسي ففي سنة 507هـ/ 1107م وصلت الاخبار ان محمد خان بن سليمان بن داود قد ظلم الرعية بأخذ اموالهم وظلمهم ظلماً كبيراً وانه خرب البلاد بعشرة وانه استخف بأوامر سنجر فجهز سنجر عساكره فخاف وارسل الى الامير قماج وهو اكبر امراء سنجر يسأله ان يصلح الحال مع السلطان وكذلك ارسل الى خوارز مشاة لمساعدة في ارضاء السلطان والاعتراف انه اخطأ فأجابه السلطان الى الصلح وسكنت الفتن [130] وفي سنة 529هـ/ 1137م توجه السلطان نحو غزنة بسبب ان واليها بهرامشاة قد ظلم الرعية ونهب اموالهم وعند وصول الاخبار بوصول سنجر ارسل رسلاً يتفرع ويسأل العفو ورسل الاموال فاستجاب له [131].

5- كان يهب الاقاليم والاموال لمماليك دون حساب وبلغ الامر حداً انه عوتب على هذا الفعل فقال ((اما رأيتموني افتح اقليماً يشتمل على اضعاف ما وهبت من مال ، اهمية بكلمة واحدة لمن اراه قبل السؤال)) [132] وكان يهب خواصه الهدايا الكثيرة التي يأخذها من قيصر الروم ويهب عبيده تحفاً عديدة ما يقدمه خاقان الصين من هدايا وقرابين [133] كان للسلطان مملوك اسمه سنقر اشتراه بألف ومائتي دينار امر صاحب خزانته ان يشتري له الف مملوك يمشون في ركابه ويحل اقطاع من يرى حل اقطاعه ويعقده عليه [134] ومملوكه اختيار الدين جوهر التاجي وكان مملوك لامة ورقاة الى ذروة لم يتسلمها احد وبلغ عساكرة ثلاثين الف [135]، وكانت مدينة الري اقطاعاً له [136] وكان للسلطان مملوك اسمه أي ابة ولقبه المؤيد، علا شاه واطاعة الامراء فاستولى على نيسابور ونسا وابيورد وشهرستان واستقرت البلاد ودانت له الرعية [137] وكانت عساكر ايتاخ احد مماليك سنجر بلغت عشرة الاف فارس [138].

6- تسلط الامراء على قراره وكان امراء دولة قد اختلفت اراءهم وركب كل منهم رايه فمثلاً عند تشاور السلطان مع امراء الدولة في حملة على الغز رفضوا الصلح وامسك الامير المؤيد وعمر العجمي بعنان فرس السلطان ورغباه بالقتال فلما وصلوا الى مقصدهم تهاونوا بالقتال وتقاعسوا عن اظهار الشجاعة وهزم جيش السلطان [139] وسمع لهؤلاء الامراء بفتح ما يشاؤون عن البلاد وضمها الى ولايتهم [140].

استباح الغز مدينة مرو لمدة ثلاثة ايام ففي اليوم الاول سرقت الاشياء الذهبية والفضية واليوم الثاني سرقت الاشياء النحاسية والرصاصية والحديدية واليوم الثالث الابواب والاخشاب سرقت ثم بدأت عملية تعذيب الناس لاستخراج ذخائرهم وقتلوا الناس في المساجد فلما سلبوا كل ما على وجه الارض اخذوا يحفرون تحت المنازل والحيطان وكان الناس يختفون في النهار في الابار والسراديب والقنوات المهجورة ((وقد سلك الغز هذا المسلك في جميع مدن خراسان)) [141].

بقي سنجر في الاسر من سادس جمادي الاول سنة 548هـ/ 1153م الى رمضان سنة 551هـ/ 1156م [142] وكانت عملية خلاصة بهروبه من السجن بواسطة احد مماليكه الامير مؤيد أي ابه حيث جاء لزيارته وتمكن من مقابلة سنجر

ورشي بعض الحراس ووعدهم بمكافأ من السلطان فلما كان يوم حراسهم ركب السلطان واتباعه بحجة الصيد وكان قد رتب من قبل عدد من المعابر على شاطئ نحو جيحون مقابل قلعه ترمذ فعبروا النهر ووصلوا الى قلعة ترمذ[143] فلما وصل بالخبر الى امراء جيش خراسان اسرعوا في تقديم الطاعة له وكذلك انظم الاتراك القارغلية بعد وفاة اميرهم ويدعى علي بك اقبلوا على سنجر وكذلك غيرهم من سائر الامم من اقاحي البلاد وادانيها وعاد الى دار ملكه مرو [144] التي لم تكن كذلك قبل اسره فقد اصطدم بواقع مرير مؤلم وذلك ان ((الخزائن خالية والممالك عارية من الرونق والعمارة ووجد الرعاة منتشرين والولاة منكسرين والمملكة مسمرة وصحيفة السلطنة مبترة.. فظهر عليه المرض)) [145] فاستخلف على مملكة خراسان الملك محمود بن محمد بن بغراخان وهو ابن اخته[146] فغلب عليه المرض الذي لا دواء له فتوفي السلطان سنجر في 24 ربيع الاول سنة 552هـ/ 1157م ودفن في مقبرة بناها لنفسه وبني على مقبرة قبة سميت ((دار الاخرة)) [147] وهذه القبة يصفها بعض الباحثين انها كانت في وقتها اعلى بناية بنيت في الاسلام وهي الى الان شامخة في مدينة مرو [148].

الهوامش

* ابن ملكشاه بن الب ارسلان بن جغري ويكنى ابا الحارث ، ولد في رجب سنة 479هـ في مدينة سنجار من بلاد الجزيرة عندما كان ابوه يقود حملة على بلاد الروم، امه تدعى تاج لدين خاتون السفري. اسمة الاسلامي احمد وجاء في منشور صادر من ديوان السلطان سنجر الى دار الخلافة العباسية مؤرخ في رمضان سنة 527هـ يذكر فيه سنجر ان والده ملكشاة سماه احمد الى جانب اسمه التركي، ينظر ابن الجوزي، المنتظم ، ج10 ، ص178، ابن الاثير ، الكامل، ج8، ص148، ج9، ص55 ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب ، ج5، ص523. الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية ، ص113. اقبال عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ص452.

1- ابن الجوزي ، المنتظم ، ج10، ص178، ابن الاثير ، الكامل، ج9، ص55.

* ابن الب ارسلان، مقطع بنواحي همذان وبسط سيطرته على خراسان قتل سنة 490هـ. (انظر ، ابن تعزي بودي، النجوم الزاهرة، ج5، ص161 كذلك السيوطي ، تاريخ الخلفاء، ص427.

2- الراوندي، راحة الصدور، ص221، البنداري، ال سلجوق، ص236.

3- الحسيني، زبدة التواريخ، ص163.

4- م.ت، ص177.

5- راحة الصدور، ص257.

6- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص188.

7- م.ت ، ج8، ص212- 213.

* مدينة متوسطة بين نيسابور وشيراز واجهان من اعمال فارس (ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص435).

8- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص287.

9- ابن كثير، البداية، النهاية، ج12، ص215.

10- الراوندي، راحة الصدور، ص257.

11- الراوندي، راحة الصدور، ص258.

12- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص190.

* هو احد امراء ملكشاة ونال رتبة عالية واسند ادارة البلاد ووطد نفوذه بخراسان سنة 490 الى 493هـ.

* اسم المكان الذي ذكره ابن الاثير نوشجان وفي رسالة سنجر للخليفة المسترشد بالله (بوزجان).

13- اقبال عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ص445.

14- ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص113.

15- م.ت ، ابن الجوزي، ج8، ص194 .

16- ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص123- 124، ابن الاثير، الكامل، ج8، ص26.

17- ابن الجوزي، المصدر سابق، ج9، ص178.

18- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص222.

19- وكان حاكمها ارسلانشاة بن علاء الدولة مسعود بن سبكتكين، وقعت المعركة على بعد فرسخ من غزنة بصحراء اباذ وكان ارسلانشاة معه ثلاثين الف فارس ومعه مائة وعشرين فيل ودارت الحرب انتهت بانتصار الملك سنجر ، انظر : ابن الاثير، الكامل، ج8، ص270، الراوندي، راحة الصدور، ص257.

20- ابن الاثير، لكامل، ج8، ص270.

21- الحسيني، ص96.

22- الكامل، ج8، ص271.

23- الكتبي، عيون التواريخ، ج12، ص44، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص190.

24- الراوندي، راحة الصدور، ص257، ابن الاثير، الكامل، ج8، ص330.

25- للاطلاع على المنشور يراجع، اقبال عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ص439 ومابعدها .

26- الكامل، ج9، ص3.

27- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص286.

28- م.ن ، ج9، ص55.

29- م.ن، ج8، ص288، ابن العبري ، مختصر الدول، 341.

30- الراوندي، راحة الصدور، ص258.

* اسم لولاية طبرستان (ياقوت ، معجم البلدان، ص41).

* مدينة بين الري وهمذان(ياقوت ، معجم البلدان ، 3، ص179).

31- ابن الجوزي ، المنتظم، ج9، ص205، كان جيش سنجر يتكون من الامير ابي الفضل ملك نيمروز والامير علاء الدين وكرشاسف اتابك يزد وقطب الدين محمد خوارزمشاة والامير قماج والامير ونكر، ابن الاثير من مجموع الفيلة التي استخدمت كانت ثمانية عشرة فيلاً. ج8، ص277.

32- الراوندي، راحة الصدور، ص42. ابن الاثير ، الكامل، ج8،، ص288، المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص34.

33- الكامل، ج8، ص288.

34- راحة الصدور، ص258.

35- ابن العمراني، الانباء في تاريخ الخلفاء، ص211.

36- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص288.

37- ابن الاثير، الباهر، ص21. ابو شامة ، الروضتين، ج1، ص28.

38- الراوندي، راحة الصدور، ص301.

39- الحسيني، زبدة التورايخ، ص180.

40- م.ن، ص180.

41- البنداري، ال سلجوق، ص122.

42- الراوندي، راحة الصدور، ص260.

43- م.ن، ص282.

44- م.ن، ص284.

45- م.ن، ص294.

46- م.ن، ص260.

47- م.ن، ص288.

48- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص291.

* مدينة تقع قرب الدنيور (ابن الاثير ، الكامل، ج8، ص337).

49- الحسيني، زبدة التواريخ، ص199.

50- هي الاميرة، ستي خاتون. (الراوندي، راحة الصدور، ص301).

51- ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص254. ابن الاثير، البداية والنهاية، ج12، ص209.

52- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص327.

53- م.ن، ج8، ص327.

54- ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص212- 213.

55- المنتظم، ج9، ص206.

* ادم بن احمد بن اسد من اهل هراة وكان اديباً فاضلاً عالماً، باللغة . توفي سنة 536هـ (انظر ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص99).

56- ابن الجوزي ، المنتظم، ج9، ص223.

57- م.ن، ج9، ص234.

58- م.ن ، ج9، ص250.

* يحيى بن عيسى بن ادريس ابو البركان كان واعظاً قرأ القران توفي سنة 552هـ. (انظر ابن الجوزي، المنتظم ، 10، ص180).

59- ابن الجوزي، المنتظم، ج9، ص250.

60- م.ن، ج9، ص253.

61- م.ن، ج9، ص254.

62- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص321.

63- الكتبي، فوات الوفيات، ج2، ص207.

64- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص321.

65- علي بن طراد الزينبي.

66- ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص5. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص211- 212.

67- م.ن، ج10، ص8. م.ن ، ج12، ص212- 213 .

68- المنتظم، ج10، ص42.

69- ابن الجوزي، المنتظم ، ج10، ص42.

70- م.ن، ج10، ص32.

71- ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص223.

72- المقريزي، السلوك، ج1، ق1، ص35.

73- ابي فرج اللمطي، تاريخ الدول السرياني، ص393.

74- ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص67.

75- م.ن، ج10، ص89. ابن الاثير، الكامل، ج8، ص369.

76- احمد كمال، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص56 ومابعدها.

* قرية من قرى سمرقند علي خمسة فراسح منها (ياقوت، معجم البلدان،ج 4، ص375).

77- الكامل، ج9، ص4.

78- الحسيني، العراضة، ص99.

79- الكامل، ج9، ص3. احمد كمال الدين، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص56- 61.

* قبائل تركية سكنت شمال شرق ايران وكونت دولة وصارت تهاجم املاك سنجر (الحسيني ، العراضة، ص260- 262).

80- الحسيني، العراضة، ص97.

81- الراوندي، راحة الصدور، ص260- 262.

82- الراوندي، راحة الصدور، ص214، الحسيني، العراضة، ص99.

83- المنتظم، ج10، ص97.

84- الكامل، ج9، ص3.

85- راحة الصدور، ص262.

86- الكامل، ج9، ص4.

87- ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص97.

88- الراوندي، راحة الصدور، ص262.

89- المنتظم، ج10، ص97.

90- الراوندي، راحة الصدور، ص264.

91- ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص97. ابن الاثير، الكامل، ج9، ص4.

92- الراوندي، راحة الصدور، ص264. وبقيت ما وراء النهر بيد الخطا الى سنة 612هـ عندما اخذها علاء الدين محمد بن الاثير، ج9، ص4.

93- ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص97. الراوندي، راحة الصدور، ص265.

94- الحسيني، العراضة، ص99- 100.

95- ابن الاثير، الكامل، ج9، ص23.

96- الراوندي، راحة الصدور، ص265.

97- ابن الاثير، الكامل، ج8، ص364. ابن خلدون، العبر، ج5، ص64.

98- ابن الاثير، الكامل، ج9، ص- 54. المقريزي، السلوك، ج ، ق1، ص38.

99- الراوندي، راحة الصدور، ص265.

100-ابن الاثير، الكامل، ج9، ص7. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص214.

* قلعة من قلاع الاسماعيلية في اقليم الجبل.

101-راحة الصدور، ص267.

102-وامر سنجر بشطر علي الجتري الى نصفين تحت العلم (الراوندي، راحة الصدور ص267). انظر كذلك ابن الاثير، الكامل، ج9، ص33. الحسيني، العراضة، ص111.

* طائفة من التركمان كانوا يسكنون ما وراء النهر فلما حلت الخطا اخرجوهم فقعدوا خراسان وكانوا خلقاً كثيراً فاقاموا بنواحي بلخ (ابن الاثير، ج9، ص37).

103- الراوندي، راحة الصدور، ص268.

104-الحسيني، العراضة، ص101.

105-م.ن ، ص102.

106-الراوندي، راحة، ص269.

107-الحسيني، العراضة، ص102.

108-ابن الاثير، الكامل، ج9، ص38.

109-الراوندي، راحة الصدور، ص269.

110-م.ن، ص270. الحسيني، العراضة، ص102.

* ما يعادل 3كغم (هنتس)، المكاييل والاوزان ، ص29.

111-الراوندي، راحة الصدور، ص271. وذكر الحسيني انهم كانوا مستعدين لدفع منّ من الفضة عن كل بيت. العراضة ، ص104.

112-راحة الصدور، ص270- 271.

113-الحسيني، العراضة، ص104.

114-العراضة، ص105.

115-ابن الاثير، الكامل، ج9، ص38.

116-م.ن، ج9، ص47.

117-السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص440.

118-ابن الاثير، الكامل، ج9، ص38. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص248.

119-الحسيني، العراضة، ص106.

120-ابن كثير، البداية والنهاية، والكتابة، ج12، ص248. سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، 8ر 1، ص224.

121-الكامل، ج9، ص40 ومابعدها.

122-الكامل، ج9، ص38 ومابعدها.

123-راحة الصدور، ص271.

124-الحسيني، ص97.

125-م.ن، ص98.

126-الراوندي، راحة الصدور، ص261- 262.

127-راحة الصدور، ص264.

128-الحسيني، العراضة، ص100-101.

129-ابن الاثير، الكامل، ج8، ص267.

130- م.ن، ج8، ص349.

131-البنداري، ال سلجوق، ص250.

132-الراوندي ، راحة الصدور، ص284.

133-البنداري، ال سلجوق، ص249.

134-م.ن، ص25.

135-ابن الاثير، الكامل، ج8، ص368.

136-م. ن، ج9، ص40.

137-م.ن ، ج9، ص41.

138-الحسيني، العراضة، ص104- 105.

139-محمد محمود ادريس، رسوم السلاجقة، ص52.

140-انظر راحة الصدور، ص271- 275.

141-ابن الاثير، الكامل، ج9، ص50.

142-الراوندي، راحة الصدور، ص277. الحسيني، العراضة، ص112.

143-ابن الثير، الكامل، ج9، ص50.

144-الحسيني، العراضة، ص112.

145-ابن الاثير، الكامل، ج9، ص55. ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص253.

146-ابن الجوزي، المنتظم، ج10، ص178. الكتبي، عيون التواريخ، ج10، ص498.

147-اركين رحمة الله سابق – عبد الله يولدا شين، الحضارة الاسلامية في تاجيكستان، ص108.

اولاً : المصادر

1- ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ). الكامل في التاريخ 9 اجزاء ، دار الفكر ، بيروت – 1978 .
2- البنداري ، الفتح بن علي بن محمد (ت647هـ) ، دول ال سلجوق ، (مصر– 1990).
3- ابن تغري بردى، جمال الدين ابو المحاسن يوسف (ت874هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة– لات).
4- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ) ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (حيدر اباد– 1359هـ).
5- الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر (ت622هـ)، زبدة التواريخ واخبار الامراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، ط2، دار اقرا (بيروت– 1986).
6- الحسيني، محمد بن محمد بن عبد الله (ت743هـ) ، العراضة في الحكاية السلجوقية ترجمة عبد المنعم محمد ، حسين امين، مطبعة جامعة بغداد– .1979
7- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ). العبر وديوان المبتدا والخبر، (بيروت– 1971).
8- الرواندي، محمد بن علي بن سليمان (ت599هـ) ، راحة الصدور واية السرور، ترجمة ابراهيم الشواربي واخرون، (مصر– 1960).
9- سبط ابن الجوزي ، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ) ، مراة لزمان في تاريخ الاعيان(الحوادث الخاصة بالسلاجقة) ، تحقيق علي سويم، (انقرة– 1968).
10- السيوطي، جمال الدين عبد الرحمن (ت911هـ) ، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة (القاهرة– 1952).
11- ابو شامة، عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت665هـ) ، الروضتين في اخبار الدولتين (بيبيروت– لات).
12- ابن العبري، ابي الفرج غريغوريوس، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، 1890).

13- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ)، الانباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، (ليدن- 1973).
14- ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن احمد (ت723هـ) ، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب ج5 ، علق عليه محمد عبد القدوس، .1930
15- الكتبي، محمد بن شاكر، (ت764هـ) ، عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم ، (بغداد – 1977).
16- الكتبي، محمد بن شاكر، فوات الوفيات، تحقيق علي محمد واخرون، (بيروت- 2000).
17- ابن كثير، عماد لدين اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ) ، البداية والنهاية ، ط3، (بيروت – 1987).
18- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت545هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، ووضع حواشيه محمد مصطفى زيادة، (القاهرة- 1934).
19- اللمطي، ابي الفرج، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق، السنة السادسة، الاربعون، .1952
20- هنتس، فالتر، المكاييل والاوزان الاسلامية، ترميم كامل العدلي، (عمان- 1970).
21- ياقوت، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ، (ت626هـ)، معجم البلدان، دار صادر (بيروت1986).

المراجع

1- احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية، الكويت .1975.
2- اركين رحمة الله يف، الحضارة الاسلامية في طاجكستان، الرباط- .1998
3- اقبال عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة احمد كمال الدين ، الكويت- 1984.
4- محمد محمود ادريس، رسوم السلاجقة وتظمهم الاجتماعية، القاهرة- 1983.